

ملخص:

لقد كان للحرب العالمية الثانية الكثير من الآثار السلبية على كافة المجالات لاسيما الاجتماعية منها، وقد كان للاستعمار الحربي تأثير هو الآخر على الدول المستعمرة، وتعتبر القارة الإفريقية واحدة من القارات التي عانت من هجيرة الاستعمار ومخلفاته لحد الآن، وبحكم ان الدول الإفريقية تعرف الكثير من الاختلاف والتنوع لاسيما في التركيبة الاجتماعية لها كذلك هناك تنوع آخر فيما يعرف بقضية الأفكار و الآراء و المعتقدات، حيث يلاحظ الدارس والمهتم بالدول الإفريقية ان هناك اختلافا كبيرا في المجالات الاجتماعية الثقافية والدينية والتاريخية ويعتبر مفهوم الاثنية والعرقية من أهم المفاهيم التي شغلت مفكري العلاقات الدولية، ومجال العلوم السياسية خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وأصبح العالم أحادي القطبية وبفعل ما أفرزته العولمة .

الكلمات المفتاحية: الاثنية -الجماعات الإثنية- السودان.

Abstract:

The Second World War had many negative effects on all areas, especially social ones, and war colonialism also had an effect on colonial countries, and the African continent crosses one of the continents that suffered from colonial barbarism and its remnants so far, and by virtue of the fact that African countries know a lot of difference And diversity, especially in its social structure, as well as there is another diversity in what is known as the issue of ideas, opinions and beliefs, where the student and interested in African countries notes that there is a great difference in the social, cultural, religious and historical fields, and the concept of ethnicity and race is considered one of the most important concepts that occupied thinkers of international relations and the field of science Political, especially after the end of the Cold War and the world became unipolar, and due to the consequences of globalization.

Ethnicity-Ethnic groups-Sudan.: Keywords

اختلاف التركيبة الاثنية**والعرقية وانعكاساتها على****الدول الإفريقية(دولة السودان****نموذجا).**

The difference in the ethnic and racial makeup and their repercussions on African countries (Sudan is a model).

حسين بن سليم*

جامعة عمار ثليجي الأغواط

(الجزائر)

h70benslim@gmail.com

أحمد سويسي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

(الجزائر)

souicislam@gmail.com

مقدمة:

أولاً : مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في محاولة البحث عن مفهوم الاثنية والعرقية في الدول الإفريقية وذلك في محاولة لتسليط الضوء على دولة السودان كنموذج لهذه الدراسة، حيث يعتبر مفهوم الاثنية والعرقية من المفاهيم التي خلفت الكثير من الآثار السلبية في إفريقيا التي ارتبطت بالكثير من المصطلحات كالحروب الأهلية والنزاعات و العنف ، فبتفشي هذه الظاهرة في معظم الدول الإفريقية أصبح من الصعب الحديث عن الأمن ومسألة الاستقرار فالواقع الإفريقي اليوم أصبح يشهد الكثير من النزاعات والصراعات التي تهدد امن واستقرار حتى الأمن العالمي فلقد كان للاستعمار الكثير من السلبيات على الدول الإفريقية حيث ركز على تشتيت الأفكار و امن وقومية هذه الدول الإفريقية وزرع الفتنة و النزاع ، وبث ما يعرف بثقافة العداة والبغض حيث أصبحت كل قبيلة داخل الدولة الواحدة تبغض الأخرى نتيجة هذه النزاعات والأفكار الهدامة التي غرسها المستعمر في أبناء القارة الواحدة ، واليوم وبفعل التطورات الخارجية وما أفرزته العولمة في ظل الأحادية القطبية صار من السهل بمكان انتشار هذا الصراع من دولة إلى أخرى نتيجة الأفكار السلبية ومسألة التفرقة التي بثتها الأطراف الخارجية في هذه الدول.

وبهذا الصدد تمحورت إشكالية البحث كالتالي:

* كيف تؤثر التركيبة الاثنية والعرقية على دولة السودان ؟.

عرفت المجتمعات الدولية الكثير من التغيرات والتحويلات منذ القدم ويعتبر موضوع الاثنية والعرقية من المفاهيم التي عرفت هذه الدول لا سيما ما تعلق بالأوضاع الاجتماعية للتركيبة البشرية ، وقد تعدى ذلك اليوم ليشمل الدول الإفريقية على وجه الخصوص ، فعلى غرار الصراعات والنزاعات التي كانت تشهدها الساحة الدولية والتي تمثلت على وجه الخصوص في التمييز بين البيض والسود في أمريكا على وجه الخصوص ، فقد تكون مسألة التعددية العرقية هي التي تجعل الدول اليوم متميزة في شتى المجالات لكن هذا الأمر من شأنه ان يقود إلى الصراعات داخل الدولة الواحدة نظراً لهذا التنوع العرقي لاسيما ما تعلق بالثقافة واللغة والدين فتسعى كل جماعة إلى السيطرة من خلال هذه المقومات التي تعتبرها الأنسب ، وهذا الأمر أيضاً امتد إلى الدول العربية التي عرفت هذه النزاعات الاثنية والعرقية ، وتعتبر دولة السودان من بين الدول الإفريقية التي شهدت العديد من النزاعات نتيجة التركيبة الاثنية والعرقية حيث أثر ذلك سلباً على قيام الدولة وضمان استقرارها ، والأحداث الأخيرة خير مثال على ذلك والمتمثلة في الصراع بين سلطة السودان وإقليم دارفور ،. والسياسات التي اتبعتها الدول في سبيل تأجيج فكرة النزاع من منظور الاثنية والعرقية في السودان فأى تطور على هذه المنطقة فهو مرتبط بالحيط الاقليمي لها،ومن خلال هذه الدراسة سنتطرق إلى اختلاف التركيبة الاثنية والعرقية وانعكاساتها على الدول الإفريقية لاسيما دولة السودان كنموذج.

وصف وتحليل ودقيق للأسباب الحقيقية وراء هذا السلوك¹.

ونحن هنا ومن خلال اعتماد هذا المنهج سنحاول ان نقدم وصفا لمفهوم التركيبة الاثنية والعرقية باعتبارها واقعا اجتماعيا موجودا وتعيشه الدول الافريقية كونها القارة التي عانت من الاستعمار بكل معانيه، وتعتبر دولة السودان من الدول التي عانت ومازالت تعاني من هذه المشاكل بفعل الاستعمار ومخلفاته من جهة وبفعل ما خلفته النزاعات والصراعات بين جماعات الدولة الواحدة لاسيما الحروب الأهلية، فالهدف إذا يكمن في محاولة اكتشاف انعكاسات مفهوم الاثنية والعرقية على دول افريقيا وفهم العلاقات التي تتصل بها ، وتقديم تفسيرات وتصورات للجوانب المهمة التي تحكم هذه الظاهرة من خلال الوضعية الاجتماعية والتأثيرات النفسية في تركيبها وبنائها .

خامسا: الإطار النظري للاثنية والعرقية

1- مفهوم الاثنية والعرقية:

لقد اختلف الكثير من الباحثين والمفكرين في تقديم مفهوم موحد ودقيق للاثنية والعرقية و نجد بينها :

1-1- تعريف الاثنية:

2-1-

* لغة: لفظ الاثنية Ethnecity وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Ethnos .

* هل كان للنخبة في السودان اثر على استقرار هذه الأخيرة ؟.

* هل لمظاهر التعددية والعرقية اثر على استقرار دولة السودان ؟.

ثانيا: أهمية الدراسة:

- أهمية الدراسة تكمن في كون هذا الموضوع من مواضيع الساعة.

- معرفة مدى وحجم النزاعات الاثنية والعرقية في إفريقيا. - محاولة التوصل إلى إيضاح خصائص التركيبة الاجتماعية للجماعات الاثنية بدولة السودان.

- إعطاء نظرة عامة عن السبل التي تؤدي على إدارة النزاع في إفريقيا.

ثالثا: أهداف الدراسة:

- التعرف على مفهوم الاثنية والعرقية في دول إفريقيا عامة ودولة السودان خاصة .

- معرفة أهم التغيرات الحاصلة في التركيبة الاثنية والعرقية في دولة السودان.

- التعرف على حجم تأثير النزاعات الاثنية والعرقية على استقرار دولة السودان.

- تحديد نوع الآليات التي تمكن من فرض الأمن والاستقرار داخل الدول الافريقية.

رابعا: منهجية البحث

في هذا البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي حيث ان هذا الأخير يتطرق إلى تقديم وصف للظاهرة كما هي موجودة في الواقع ...، وهذا المنهج يتطلب أدوات لتحليل الظاهرة بمؤشرات وأبعادها للوصول إلى

فجأة ، فهذا التعريف ستاتيكي لا يذكر فيه بان الجماعة الحيوية والفعالة هي التي تحوي علاقات اجتماعية بين أفرادها ⁴.

1-2-العرقية:

يرى بيتر ويد(Peter Wed) ان مفهوم العرق غير واضح وان الكثير من النظريات الدارسة للعرقية لا تمتلك الأساس الواضح ، وان الكثير من التعريفات نزعنا لاستبدال البعد البيولوجي للعرق بأبعاد ثقافية واجتماعية تخلق التمايز بين البشر وتحكم سلوكهم وتجاهلت الجانب الجسماني والطبيعي البيولوجي والجيني في فهم العرق فالعرقية قائمة على الأصل السلاي أو العرقي المشترك فهي تعبر عن شعب أو قبيلة بغض النظر عن الثقافة والمعتقدات وقد أستخدم مفهوم العرق وهو مصطلح بيولوجي في النقاشات العامة لتوصيف جماعة من البشر يطورون تشابهات وراثية بين بعضهم البعض ويكرسون الاختلافات في الشعوب بغية تأسيس عرق منفصل ⁵.

لكن في خضم هذا الحديث لا سيما ما تعلق بتحديد التركيبة الاثنية والعرقية يمكن القول ان فكرة العوامل البيولوجية خاصة العامل الوراثي ليست مسألة مطلقة من حيث تفسير العرقية وحتميتها ، فهناك الكثير من العوامل لا شك أنها تساهم في تحديد هذا المفهوم وهو ربما ما أثبتته الكثير من الدراسات التي صنفت عامل البيئة والمناخ وغيرها

والاثنية في نفس السياق من الناحية اللغوية تشير إلى أصل الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة -polis cité².

ويشير جورج قرم في تعريفه للاثنية بقوله : إن الاثنية جماعة بشرية تؤكد على مستوى محدد ، وأفرادها نوعية خاصة موقوفة عليها دون غيرها من الجماعات ، واهم نقطتين في النوعية الاثنية هما الدين واللغة ، لأنهما تكفلان تواملا أمثل بين أعضاء الاثنية ، وهذا بشرط ان يكون هذان العنصران نوعيين فعلا ، ولا تشاطرهما فيهما جماعات اجتماعية أخرى ³.

عند الانثروبولوجيا الفرنسية الاثنية والقبيلة مرادفين ، أما عند الانجليز فالقبيلة تشير إلى نمط تنظيم سياسي جزئي و الاثنية تعني تجمعا ناتجا عن مجموع عناصر مختلفة الأعراق نظرا لتأثير الأحداث التاريخية ، ولديها أفكار مشتركة وهي حسب أريكسون(Erikson) نمط من العلاقات بين الأشخاص أو الجماعات الذين لديهم مميزات ثقافية تجمعهم .

ويشير العديد من العلماء إلى انه عندما يكون هناك عضو لا يتكلم اللغة الأصلية للمجموعة لا يعني هذا إقصائه منها فغياب خاصية من الخصائص المشتركة لا يقصي الفرد من الجماعة ، لكن لهذا التعريف سلبيات في كونه واسع فهو لا يؤكد دور الفرد ومسؤوليته في اختيار الانتماء إلى المجموعة أم لا حيث ان المجموعة الاثنية لا تتواجد صدفة أو

2- الفرق بين الاثنية والعرقية:

قبل "ماكس ويبر" (Max weber) كان ينظر للعرق والاثنية على أنها جانبيين من نفس الشيء ، وفي حوالي عام 1900 أرجعت الاختلافات الثقافية بين الأشخاص إلى السمات الموروثة جينيا ، فمقدمة ويبر " (weber) حول الاثنية بوصفها واحدة من المقومات الاجتماعية تعتبر الاثنية والعرق منقسمان عن بعضهما البعض وهو بذلك يشير إلى ان الانتماء العرقي يختلف عن الانتماء الاثني فالأول يعتمد على الأصل كأساس أما الاثنية فهي تعتمد على اعتقاد ذاتي لمجموعة الأصل .

الفرق بين الاثنية والعرقية كبير جدا ، فالاثنية تنشأ عندما تختار مجموعة اثنية ان تنفرد بنفسها وتحصن في فضاء هويتها التي لا يمكن لأحد ان يتركها أو يأخذها منها ، أما العرقية فهي تظهر كطريقة لتأسيس التقسيم وتحديد الناس وفقا لمعيار جيني ثابت ⁷.

ومن المنظور السوسيولوجي فإن إثبات ذلك مرتبط بفهم شبكة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع حيث تظهر من خلالها أهم الدلالات التي تجعل من فكرة التوافق بين الأنساق الفرعية أمرا ممكنا.

3- الجماعة الاثنية:

3-1- مفهوم الجماعة الإثنية:

أستخدم مفهوم الجماعة الاثنية لأول مرة عام 1909 ، فصار أحد أكثر المفاهيم خلافية حيث تردد مضمونه بين التعبير عن جماعة عرقية أو أقلية ، والتعبير عن جماعة

من أهم العوامل التي تؤثر على التركيبة العرقية للجماعة التي قد تتأثر من مكان إلى آخر وبفعل التغيير الحاصل.

ونجد الكثير من الباحثين قد اختلفوا في تحديد الرابطة الأساسية للجماعة العرقية ويمكن في هذا السياق الإشارة إلى أربعة خصائص أساسية :

أولها : ان الرابطة العرقية تتميز عما عداها من روابط اجتماعية في كونها وراثية وليست مكتسبة ، فهي تعبر عن مصير محتوم للفرد بحكم الميلاد.

ثانيها: تتميز بمشاركة أفرادها في جملة من القيم والمعتقدات وعادة ما يتم التعبير عن ذلك بشكل مؤسسي ، فالجماعات العرقية تمتلك مؤسسات جماعية توزاي بشكل أو بآخر تلك الموجودة في المجتمع ككل، ويعني ذلك ولو بشكل غير مباشر أن المؤسسات ذات الطابع العرقي تشكل تهديدا لسلطة الدولة الوطنية .

ثالثها: للرابطة العرقية تمايزات داخل الجماعات العرقية.

وقد يعزى ذلك إلى متغيرات العشيرة والجماعات العمرية والانتماء الاقليمي ، وهو ما يؤدي إلى نزاعات داخلية تزيد من تعقيد السياسات الوطنية للدولة الافريقية ، وليس أدل على مانقول من النزاعات التي تشهدها جماعة (الشونا) في زيمبابوي بين فئات الكارنجا و الزيزورو، والمانيكا ، وغيرها من البطون والعشائر من أجل السلطة والهيمنة .

رابعها: تتميز العرقية في إفريقيا بالمرونة بمعنى أنها يمكن ان تتلائم مع المواقف والسياقات المتنوعة والمعقدة ، بحكم ما تنطوي عليه من ولاءات فرعية متعددة⁶.

الممكن ان تكون مجموعة العادات والتقاليد معرفة على ثقافة خاصة واعتماد متبادل⁸.

فالجماعة الاثنية كمفهوم عام هي كنتيجة لذلك التفاعل العام في خضم النسق الذي يحكم الأفراد داخلها حيث يتحدد وفق الدور البارز داخل هذه التركيبة ، ولا يمكن نفي الصراعات التي تكون نتيجة التعددية العرقية أو ما يعرف بالتكامل القومي حيث تعتبر هذه النقطة بالذات من أكبر التحديات التي واجهت القارة الإفريقية ، فالأمر هنا يكمن في اختلاف التركيبة الاثنية والعرقية للجماعات ، فكل جماعة تحاول ان تفرض ثقافتها وعاداتها وتقاليدها ودينها ، حيث يتوقف على دور الأفكار في مدى تصعيد النزاعات وجعل الجماعة تتمرد على السلطة وتعلن العصيان وهذا طبعاً إذا كانت مسألة الأفكار تفتقد للضوابط العقلانية ، فحسب ما ذهب إلى المقاربة البنائية فالأمر يكمن في مسألة الهوية ومدى شعور الجماعات بالانتماء في تحقيق الاستقرار.

3-2- مطالب الجماعات الاثنية:

أ-المطالب الثقافية:

من بين أهم المطالب الثقافية نجد مايلي:

1-اللغة: حيث تعتبر مكانة اللغة في النظام السياسي إحدى أدوات الهيمنة والسيادة والمطالبة بوضع رسمي للغة ما في البلاد مطالبة باعتراف رسمي بأن الجماعة المتحدثة بتلك اللغة ذات شرعية أكبر ، أو قد تكون المطالب بأولوية لغة أو بالتعددية اللغوية إذا كانت الجماعة الاثنية أقلية.

أساسية أو أمة أو الجمع بين المعنيين باعتبار أن من الشعوب من يملك كل خصائص الأمة ومقوماتها ، وإن لم تكن له دولته المستقلة.

لذلك فإن مفهوم الجماعة الاثنية لم يقدر له الذبوع المرجو خصوصاً مع التضارب في تحديد نطاقه الذي قد يتسع ليشمل كل أشكال التمايز لتعبّر بذلك الجماعة عن خط متواصل يبدأ بالقبيلة وينتهي بالأمة كما أنه يضيق ليقصر على التمايز الاثني دون سواه.

والجماعة الاثنية تعني مجتمعا بشريا له أسلوب حياة مميز يرتبط أفرادها بروابط الانتماء القومي له إطاره الثقافي والحضاري المتمثل في الهوية الثقافية المتميزة ، ويشعر هذا الكيان البشري بذاتيته إزاء الجماعات الأخرى ، وأفراد الجماعة واعون بمقومات ذاتيتهم العرقية على نحو يهيئ بخلق شعور الهوية داخل نطاق الجماعة ، وهو شعور ينبع من التقارب في الخصائص الفكرية للجماعة وتوفر روح الجماعة بين أفرادها ، الأمر الذي يؤدي إلى الولاء والانتماء وبالتالي تماسك الجماعة ووحدتها ، حيث يتولد الوعي الاثني لدى أفراد الجماعة من ثنايا تفاعلها مع الجماعات الاثنية الأخرى التي تتواجد معها في ذات المجتمع.

وهي أيضا جماعة اجتماعية تؤسس لنظام داخلي الذي يدعي الأعضاء من خلاله اكتساب هوية جماعية مشتركة مؤسسة على الاعتقاد الشخصي بالمجموعة الأصلية ، حيث يكون ماضيها مسجلا في الذاكرة الجماعية للمجموعة مثل الأسطورة أين نجد ان الذكريات والأحداث فيها بمثابة رموز متعلقة بتركة ثمينة تعود لأسلافهم ، ويتقاسم أغلبية الأعضاء واقعيها أو رمزيا حياة أو مصيرا مشتركا ، هذه الحياة من

بالانفصال عن أثيوبيا والانضمام إلى الصومال ، وكشمير التي تطالب بالانفصال عن الهند و الانضمام إلى باكستان.

2-الاستقلال الإداري: في بعض الحالات لا تطالب الاثنيات بالانفصال ولكن بالاعتراف بخصوصية هذه الجماعة كأن تحصل على استقلال إداري أو حكم ذات ضمن فدرالية أو مخصصات لأجل الحصول على منح مالية أو الاعتراف بقيمة الجماعة وتمييزها في المجتمع ومن أمثلة ذلك نيجيريا.

3-المناصب العامة: تتنافس الجماعات الاثنية عادة من أجل السيطرة على جهاز الخدمة المدنية والوظائف الرسمية في الدولة.

4-مسألة الأرض: امتلاك بعض الاثنيات لمساحات تفوق كثيرا نسبتها العددية.

ج-المطالب الاقتصادية:

ومن بين هذه المطالب نجد التوزيع العادل في الثروات عن طريق مراعاة مبدأ تكافؤ الفرص بين الجماعات. أما عن مبررات هذه المطالب فتقدم الجماعات الاثنية عادة مبررات تاريخية أو إدارية كأن تكون أكثر تعليماً وكفاءة وخبرة فتمتد مبررات متعلقة بالجداراة والكفاءة وتجدر الإشارة إلى أن فاعلية المطالب تعود لفاعلية الجماعة نفسها وحجمها ومدى تماسكها والتركز الإقليمي وطبيعة هذا الإقليم ودور النخبة السياسية للجماعة الاثنية في تعبئة مطالبها وطرحها والدفاع¹¹.

وللغة دور في الحراك الاجتماعي الطبقي والكفاءة الإدارية وشغل المناصب وعلاقات الدولة الخارجية ومن أمثلة ذلك رفض التعريب في السودان ، الاعتراف باللغات الإفريقية في جنوب إفريقيا بعد انتهاء الحقبة العنصرية.

2-الدين: يستخدم الدين للتعبئة والحشد لصالح أو ضد النظام السياسي ، وتنادي الجماعات ذات الأغلبية باعتبار دينها هو الدين الرسمي ، والاثنية الأقل تطالب عادة بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة كما في السودان ونيجيريا وغيرها.

3-العادات والتقاليد: تطالب الجماعات الاثنية باحترام عاداتها والسماح لأبنائها بممارسة هذه العادات مثل مطالب النساء البريطانيات المسلمات الذين يخدمون في الجيش و الأمن بارتداء لباسهم حسب التعاليم الدينية أو العادات والتقاليد الخاصة بهم⁹.

فالتقاليد بمفهومها العام هي أنشطة ذات صبغة متكررة وتعزز القيم الرئيسية في التنظيم ومجالات التركيز فيما يتعلق بالأهداف والأهمية النسبية للمراكز أو الأفراد¹⁰.

ب-المطالب السياسية:

1-الانفصال: تكون مطالب الجماعات الاثنية المتعلقة بالنظام السياسي بالانفصال لإقامة كيان سياسي جديد مستقل مثل حالة تيمور الشرقية ، أو الانفصال للانضمام إلى كيان آخر مثل إقليم **الاوغادين** الذي يطالب

من الحقوق وفقدان السلطة يولد لدى الجماعة الاثنية تمسكا شديدا بالهوية الثقافية وتطرح عندئذ مشكلو سلطوية¹³.

وبالحديث هنا عن الهوية الثقافية فان الأمر يقودنا إلى معرفة مدى تأثير أهم المتغيرات على النسق العام الذي على إثره يمكن تفسير أهم المكونات الحقيقية لهوية الإنسان بصفة عامة ، فلا بد من شعور الفرد بالمواطنة والانتماء إلى المكان والأرض التي يشعر فيها بوجود روابط مشتركة بينه وبين أفراد بيئته و الذين جمعته بهم أهم المقومات كالعرق واللغة والدين وهذا ما يجعل مفهوم الوحدة الوطنية يتجسد من خلال تلك العلاقات التي نشأت نتيجة التفاعل بين الأنساق الفرعية والتي تساهم في استقرار النسق العام و التركيبة الاجتماعية للأفراد.

سادسا: التركيبة الإثنية و العرقية في دولة السودان

1-نبذة عن تاريخ السودان:

السودان كلمة عربية مشتقة من تعبير بلاد السودان أي بلاد السود وهو اللفظ الذي كان يطلقه العرب في العصور الوسطى على سكان المساحات والأقاليم الشاسعة من إفريقيا، فيما وراء الصحراء الكبرى ، من البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي لما لاحه العرب على لون البشرة الغالب على سكان هذا الإقليم¹⁴.

4-إستراتيجيات التعامل مع الجماعات الاثنية:من بين

هذه الاستراتيجيات الكثيرة والمتنوعة نجد:

أ-الاستيعاب والدمج: ويكون على ثلاثة أنماط:

-عن طريق تكوين ثقافة وأنظمة تعليم وأساليب تربوية وموحدة.

-استيعاب مادي وذلك عن طريق صهر الجماعات ببعضها إما بإلحاقها بهوية الجماعة الرئيسية أو تكون هوية جديدة.

-كما تقوم على عمليات استيعاب مؤسسي بإنشاء مؤسسات يشارك فيها جميع الأفراد من مختلف الجماعات على أسس غير إثنية.

ب-إستراتيجية اقتسام السلطة:

حيث تقوم على ائتلاف حاكم ذي قاعدة عريضة تحتوي داخلها الجماعات الاثنية في المجتمع ، وقد تم تطوير هذا النظام بين الكاثوليك والبروتستانت في هولندا.

ج-إستراتيجية القسر:

حيث تقوم على الهيمنة وهي الأكثر شيوعا ، وتمارسها الاثنيات الكبرى والأقليات الحاكمة و المسيطرة وقد تقوم الأنظمة السياسية بعمليات تطهير عرقي واستئصال وترحيل جبري¹².

وهذه المجموعة الاثنية لا تشكل تهديدا لاستقرار الدول إلا عندما تطرح مشكلة سياسية ، وتنشأ المشكلة الاثنية عندما تتحول المجموعة الاثنية إلى حزب أو قناة للسلطة فطل جماعة تمتلك ثقافة خاصة بما لفرضها والتعبير عنها وإذا حرمت من ذلك تحدث الاضطرابات لان الشعور بالحرمان

1-1- الموقع:

حيث كان لهذه المتغيرات أثر كبير على التركيبة الخاصة به مست بالدرجة الأولى الجوانب الاقتصادية والتنموية والثقافية.

يقع السودان بشمال شرق إفريقيا ، يحده مصر وليبيا شمالا وتشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى غربا وزائير و أوغندا جنوبا ، اثيوبيا والبحر الأحمر شرقا ، ويمتد من خط عرض 22° شمالا إلى خط العرض 4° قرب خط الاستواء.

1-2- التعددية العرقية:

إن المشاكل السياسية الناجمة عن التعدد العرقي تعتبر هي الأوضح في السودان، حيث يصنف الإنسان في السودان أولا على الأساس العرقي ، ثم تأتي بقية التصنيفات القائمة على أساس الدين ، أو الوضع الاقتصادي.

1-2- المناخ:

مناخ السودان مداري بوجه عام ، ويعتبر أكثر المناطق الاستوائية في العالم ارتفاعا في درجة الحرارة وتصل متوسطاتها الشهرية القصوى حوالي 40 درجة مئوية ، ونظرا لعدم وجود كتلة جبلية من الشرق على الغرب فإن اتجاه الرياح من الشمال إلى الجنوب لا يقف في سبيله حاجز.

إن مناقشة موضوع التعددية العرقية والثقافية تعتبر مسألة هامة للغاية إذا على أساسها تتحدد هوية السودان ذلك أن التنوع العرقي والثقافي والبيئي يكون هو محور النقاش عندما يحاول الكاتب أن يحدد هوية السودان كقطر، وهوية السودانيين كأعضاء في قارة تتجاذبها تيارات مختلفة...، ولقد انعكس أثر ذلك الخلاف على رؤية الفريقين للسياسة الخارجية السودانية، فبينما يقول دعاة العروبة بضرورة اتجاه السودان بعلاقاته الخارجية ناحية العالم العربي، لكونه جزءا منه يتأثر به ويؤثر فيه، يرى دعاة الإفريقية ضرورة تمتين علاقات السودان مع جيرانه الإفارقة، ولعل هذا ما يفسر دعوة الحركة الشعبية عقب انتفاضة ابريل 1985 إلى إلغاء اتفاقيات الدفاع المشترك مع مصر وليبيا باعتبار ان ذلك دليل على ارتباط السودان بجيرانه العرب أكثر من الإفارقة ، وهو ما يشير إلى حسم مسألة الهوية في اتجاه العروبة ، مما يعني ضمنا أن السودان بلد عربي فينعكس ذلك سلبا على أوضاع الأقليات غير العربية فيه¹⁶.

و نظرا للظروف الطبيعية فإن مناخ السودان يندرج في الصحراء إلى أقصى الشمال ونظرا لشساعة البلاد، الأمر الذي جعل السودان تتمتع بمناخ متنوع ، يتأرجح بين المناخ المداري الرطب في الجنوب (غزارة الأمطار) ، ومناخ صحراوي جاف في شمالي البلاد، فمناخ جاف طول السنة وأمطار صيفية موسمية¹⁵.

إن السودان من حيث الموقع الجغرافي المميز والمساحة التي تحتويها وكذا المناخ المداري الذي يجعلها تتموقع في الترتيب العالمي و الإفريقي حيث تتوفر على كل الإمكانيات التي تجعلها دولة غنية.

2- مظاهر الاختلاف والتعددية في السودان:

إن السودان يتميز بالاختلاف والتعدد لاسيما ما تعلق بمظاهر التعدد التي شملت العادات والدين والعرق واللغة

2-2- التعددية الدينية:

الجنوب للتحريض على الإسلامي وتصويره على أنه ديانة شريرة وعنصرية.

لقد أصبحت الاختلافات الدينية في السودان أحد أسباب الصراع وعدم الاستقرار السياسي ، حيث أدت محاولات المسلمين لتطبيق الشريعة الإسلامية -دين الأغلبية- إلى معارضة الأقليات غير المسلمة خاصة في جنوب السودان ذلك أن السياسة الاستعمارية التي سبقت الإشارة إليها أدت إلى أن يكون الجنوب مكون من أغلبية تدين بأديان قبلية ، وفئة مسلمة وصفوة جنوبية مثقفة ترى في إفريقيته وثقافتها الإنجليزية عاصما من الاستعراب وفي مسيحيته عاصما من الإسلام وفيهما معا هوية مميزة¹⁸.

2-3- التعددية اللغوية:

اللغة هي وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد بحكم امتلاكهم لها فهي مؤسسة اجتماعية لسانية لها سلطاتها على الناطقين بها¹⁹...، والسودان في هذا المجال يتميز بميزتين هما: كثرة اللغات واللهجات وتعددتها من ناحية والتداخل اللغوي من ناحية أخرى وتشير الدراسات إلى وجود 115 لغة ولهجة للتخاطب في السودان .

إن هذه الحقائق جعلت البعض يذهب إلى أن السودان كله يمكن اعتباره منطقة تداخل لغوي لما فيه من التنوع والتعدد اللساني فاللغة العربية تمكنت من الانسياب التلقائي إلى كل بقاع السودان حتى غدت هي اللغة المشتركة لكل أهله

يعتبر الدين في الحياة الاجتماعية بمثابة الموجه والضابط الأساسي للحياة الاجتماعية تبني أساسا على الحياة الدينية ، لاسيما ما تعلق بالأفكار والمعتقدات وغيرها من الممارسات الأخلاقية والسلوكية حيث يشكل المعتقد الديني لفئة معينة من الناس هو الذي يصبغ عليها طابع الخصوصية عن غيرها من الجماعات ، فالمجتمع الذي يبنى على قيم وعقائد دينية يصبح أكثر تماسكا وانسجاما ، و يرى "دور كايم" في هذا الصدد أن الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي، والتي تحاط بشتى أنواع التحريم ، هذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية تدعى الكنيسة¹⁷.

ولحساسية الدين لجأت الدول في مراحل التاريخ المختلفة لاستغلاله في تدمير الأمم ، من خلال إشاعة الصراعات بين الجماعات الدينية فيها ، لكن الدين في السودان لم يكن مصدرا للصراع في كل مراحل التاريخ السوداني حتى وصول الاستعمار الإنجليزي المصري والذي عمل إبتداءا على خلق واقع ديني جديد من خلال رعايته لجمعيات التبشير المسيحي في الجنوب لتقوم اختلافات دينية بين جنوب البلاد وشمالها حيث يسود الدين الإسلامي هناك .

لكن الاستعمار البريطاني عمل على استغلال الدين لتمزيق الوحدة الوطنية في السودان فحملات التبشير المسيحي في السودان كانت تعمل بالإضافة إلى نشر المسيحية في

وعلى المستوى الاجتماعي تتمثل أكبر المشكلات الاجتماعية لمشكلة دارفور على دول الجوار في ظاهرة اللجوء وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار عدم وجود حواجز طبيعية لدارفور مع دول الجوار ، بالإضافة إلى التدخل القبلي الموجود أصلا والمتأثر بعدم وجود الأمن والاستقرار في دارفور، وأنعكس كل هذا على هذه المهجرات الكبيرة للمواطنين من دارفور على كل دول الجوار موزعين بينها كل حسب ارتباطه بالدول الأقرب له.

و تشاد هي من أكثر الدول المتأثرة بمشكلة دارفور اما ليبيا فالمصالح الليبية في الازمة مركبة فتصاعد الصراع في دارفور قد يهدد الامن القومي الليبي خاصة مع وجود امتداد قبائل الزغاوة ، كما يمثل التدخل الدولي في حال وقوعه تعقيدا لحركة الليبية الفاعلة في منطقة الساحل والصحراء.

اما عن إفريقيا الوسطى فهي تخشى ان يستغل انصار الرئيس السابق الموجودين في دارفور ، الصراع في المنطقة لينقضوا على حكم الرئيس الحالي الذي جاء للحكم بانقلاب عسكري في مارس 2003 ، إذا ما يصيب تشاد يصيب إفريقيا الوسطى نسبة لوجود علاقة بين قوية بين النظامين.

يمكن القول ان مشكلة دارفور طرحت مخاطر عامة منها تدفق اللاجئين من المناطق المتأثرة لدول الجوار وتهديد امن الدول المجاورة بتسرب السلاح والمسلحين ، إضافة الى تشجيع المجموعات الشبيهة في الدول المجاورة على ممارسة التمرد لانتزاع مطالبها و زيادة أعباء الصرف على الأوضاع الأمنية على الحدود، كما ان فرض عقوبات على السودان يطرح تأثيرات اقتصادية سالبة على انسياب حركة التبادل

ولذلك لم يكن غريبا ان تعتمد كلغة رسمية في السودان دون أن يثير ذلك حساسية الجماعات الأخرى²⁰.

إن هذا الاختلاف في التركيبة الخاصة بالسودان لاسيما ما تعلق بالتعددية العرقية والاختلاف في الدين الذي كان العامل الأبرز لجعل المنطقة تعيش في دوامة من الصراعات والنزاعات الطائفية التي تأججت بفعل الانتماء والقبلية ، يضاف إليها التعددية اللغوية والثقافية بشكل عام حيث ساهمت هذه الأخيرة في جعل مناطق السودان تمتاز بخصوصية ، حيث تكن لغة السلاح سائدة في السابق ، بغض النظر عما حصل في السابق ويحصل الآن في جنوب السودان من اختلافات وصراعات في هذه المنطقة.

إن هذه التعددية داخل السودان أصبحت أمرا واقعا لا بد من التعايش معه ، وهذا ما يجعل الدولة السودانية تسعى إلى محاولة احتواء الوضع بطريقة حكيمة ترضي جميع الأطراف في سبيل المحافظة على وحدتها واستقرارها.

3- انعكاسات أزمة دارفور على البناء الاجتماعي للدول الافريقية:

لقد كان للثورات الحاصلة في السودان لاسيما الأزمة التي مست إقليم دارفور انعكاس كبير على الدول المجاورة كمصر وليبيا و التشاد وغيرها ، فليبيا تعتبر مدخلا للشمال الافريقي وغرب أوروبا وتشاد تعتبر مدخلا للقرن الافريقي في المحيط الاطلنطي ، أما إفريقيا الوسطى فهي مدخل لوسط إفريقيا ومنطقة البحيرات ، ومن تماسست المصالح الفرنسية والأمريكية عند دارفور في إفريقيا.

اختلاف التركيبة الاثنية والعرقية وانعكاساتها على الدول الإفريقية(دولة السودان نموذجاً).

وجود قيادة رشيدة تجعل من فكرة تجسيد المواطنة أمر واقعياً ، حيث سيعيش المواطن السوداني بصفة خاصة والمواطن الإفريقي بصفة عامة في ظل السلم والوحدة الوطنية التي تترتب على أجنحة الاندماج الاجتماعي ، وهنا لا بد من الوعي بين جميع الأطراف الفاعلين حكومة وشعباً ، دون السماح لأي نوع من تلك الخطابات التي تكون لها أبعاد اثنية وعرقية تؤدي إلى زعزعة الوضع في المنطقة التي عرفت الكثير من التوترات والنزاعات الاثنية نتيجة الصراع القبلي والعنصرية .

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن القول أن مسألة التنوع الاثني والعربي في الدول الإفريقية بصفة عامة ودولة السودان بصفة خاصة ، أمر لا يمكن ان يشكل تأثيراً سلبياً على هذه الدول بل يمكن ان يكون له إيجابية خاصة إذا نظرنا إليه من الجانب الثقافي والحضاري حيث يساهم هذا التنوع والاختلاف في تمازج هذه الثقافات والعادات والتقاليد دون المساس بهوية الآخر، فالأمر يتوقف على تجسيد مبدأ التعايش السلمي حيث يمكن لكل طرف من الحفاظ على حقوقه ، وعدم تدخل أي طرف في القضية الداخلية للمجتمع، خاصة أن بعض الدول الإفريقية قد استفادت من مبدأ تقرير المصير الذي يكفل لها حق بناء نفسها وفق المقومات الثقافية والحضارية والتاريخية، وهذا ما يجب ان يتحقق في دولة السودان بعيد عن النزاعات والصراعات والتدخلات الأجنبية .

التجاري بين السودان ودول الجوار بشكل طبيعي، حتى لو كانت هذه العقوبات لا تمس هذا الجانب بصورة مباشرة اما في حالة حدوث تدخل عسكري أجنبي في المنطقة فأن الدول المجاورة في هذه الحالة ستصبح في وضع صعب من جراء تفجير العنف بدرجة أكبر في منطقة النزاع ووجود مقاومات مسلحة يمكن أن تتحرك عبر الحدود مدعومة بالعلاقات القبلية ، إضافة لما يمثله الوجود الأجنبي من ضغوطات على بقية دول المنطقة²¹.

ان دارفور تذكير قوي بأن أزمة السودان ذات صلة أكبر بعدم التوازن البيئي في الحكم والتنمية الاقتصادية التي تميز علاقات المركز بالأقاليم الطرفية أكثر مما تمت للفصل بين الشمال والجنوب ، إن القتال في دارفور ليس هو المؤشر الوحيد على أن الصراعات في السودان لا يمكن تناولها بصورة جازمة في مثل ذلك الإطار الجغرافي ، فمثلاً توصل في منتصف يناير جيش تحرير السودان أكبر المجموعتين المتمردتين في دارفور إلى تحالف مع مؤتمر البجا وهو مجموعة مسلحة تقوم على الاثنية وتعمل في الولايات الشرقية المتخلفة النمو وفي 13 فبراير 2004 انضم إلى مظلة التحالف الوطني الديمقراطي المعارض²².

إن الوضع في السودان يكمن في تحليل الدوافع والأسباب وتفسير النتائج التي كانت وراء فكرة الإثنية والتعددية ، وبالتالي فالأمر هنا يتطلب إعادة النظر و بذل الجهد في سبيل تحقيق الاستقرار في المنطقة وهذا لا يتحقق إلا في ظل

قائمة المراجع:

- 1- حسين بن سليم، القيادة المدرسية وإدارة مشروع المؤسسة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تنظيم وعمل، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014-2015، ص 170.
- 2- رياض بن فاضل، مسعود شابي، تأثير النزاعات الاثنية على بناء الدولة في إفريقيا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة تبسة، الجزائر، 2014-2016، ص 18.
- 3- ناهض بوحامد، النزاعات الاثنية والعرقية في إفريقيا و استراتيجيات المواجهة، مجلة دراسات افريقية، العدد الثاني، نيسان 2017، تونس، ص 24.
- 4- سمية بلعيد، النزاعات الاثنية في إفريقيا و تأثيرها على مسار الديمقراطية فيها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009-2010، ص 14.
- 5- نفس المرجع ، ص ص 11، 12.
- 6- ناهض بوحامد، مرجع سابق، ص ص 27، 28.
- 7- رياض بن فاضل، مسعود شابي، مرجع سابق، ص ص 20، 21.
- 8- سمية بلعيد، مرجع سابق، ص ص 18، 19.
- 9- رياض بن فاضل، مسعود شابي، مرجع سابق، ص 24.
- 10- جمال الدين محمد المرسي، الثقافة التنظيمية والتغيير، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2006، ص 25.
- 11- رياض بن فاضل، مسعود شابي، مرجع سابق، ص 25.
- 12- سمية بلعيد، مرجع سابق، ص 21.
- 13- برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، 1979، ص 30.
- 14- محمد عبد الغني سعودي، السودان، دار الرائد للطباعة، القاهرة، (ب.ت)، ص 01.
- 15- نبيل موسى جبالي، جغرافية الوطن العربي، مكتبة المجتمع العربي، الأردن، 2012، ص 255.
- 16- بهاء الدين مكاوي، تسوية النزاعات في السودان- نيفاشا نموذجاً-مركز الرائد للدراسات -، 2006، ص 151، 152.
- 17- عبد القادر فوشان، الدين والاندماج الاجتماعي عند الشباب، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير ،جامعة وهران، الجزائر، 2010، 2011، ص 08.
- 18- بهاء الدين مكاوي، مرجع سابق، ص ص 155، 156.
- 19- عمر بوقمرة، التعدد اللغوي -قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر-مجلة الصوتيات، العدد 13، جامعة البليدة 2، الجزائر(ب.ت)، ص 100.
- 20- بهاء الدين مكاوي، مرجع سابق، ص ص 158، 159.
- 21- بن فاضل رياض ، شابي مسعود ، مرجع سابق، ص ص 140، 141.
- 22- ثورة دارفور، أزمة السودان الجديدة، تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 76 عن إفريقيا 25 مارس 2